اقْرَءُوا الْقُرْآنَ

علي بن عبد الله النمي

بسم الله الرحمن الرحيم

اقرءوا القرآن

علي بن عبد الله النمي

المُقَدِّمَةُ

الحَمْـدُ للـهِ الَّـذِي خَصَّنَـا بِالنِّعْمَـةِ، وَأَجْـزَلَ لَنَـا المِنَّـةَ، هَدَانَـا لِلْإِسْـلَامِ، وَشَرَّفَنَـا بِرِسَـالَةِ مُحَمَّـدٍ عَلَيْـهِ الصَّـلَاةُ وَالسَّـلَامُ، أَرْسَـلَ إِلَيْنَـا أَفْضَـلَ رُسُـلِهِ، وَأَنْـزَلَ عَلَيْنَـا أَحْسَـنَ كُتُبِـهِ، فِيـهِ نَبَـأُ مَـا قَبْلَنَـا، وَخَـبَرُ مَـا بَعْدَنَـا، وَحُكْـمُ مَـا بَيْنَنَـا، وَهُـوَ الفَصْـلُ لَيْـسَ بِالهَـزْلِ، مَـنْ تَرَكَـهُ مِـنْ جَبَّـارٍ قَصَمَـهُ اللـهُ، وَمَـنِ ابْتَغَـى الهُـدَى فِي غَـيْرِهِ أَضَلَّـهُ اللـهُ، وَهُـوَ حَبْـلُ اللـهِ المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْـرُ الحَكِيـمُ، وَهُوَ الـصِّرَاطُ المُسْـتَقِيمُ، هُـوَ الَّـذِي لَا تَزِيـغُ بِـهِ الأَهْـوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِـسُ بِـهِ الأَلْسِـنَةُ، وَلَا يَشْـبَعُ مِنْـهُ العُلَـمَاءُ، وَلَا يَخْلَـقُ عَـلَى كَـثْرَةِ الـرَّدِّ، وَلَا تَنْقَـضِي عَجَائِبُـهُ، مَـنْ قَـالَ بِـهِ صَـدَقَ، وَمَـنْ عَمِـلَ بِـهِ أُجِـرَ، وَمَـنْ حَكَـمَ بِـهِ عَـدَلَ، وَمَـنْ دَعَـا إِلَيْـهِ هَـدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْـتَقِيمٍ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَعَـنِ ابْـنِ عَبَّـاسٍ رَضِيَ اللـهُ عَنْهُـمَا، أَنَّ الْوَلِيـدَ بْنَ الْمُغِـيرَةِ جَاءَ إِلَى النَّبِـيِّ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْـهِ الْقُـرْآنَ، فَكَأَنَّـهُ رَقَّ لَهُ، فقال: لَا أَعْلَمَ بِرَجَزٍ وَلَا بِقَصِيـدَةٍ مِنِّي، «وَاللهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّـذِي يَقُـولُ حَـلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْـهِ لَطَـلَاوَةً، وَإِنَّـهُ لَمُثْمِـرٌ أَعْـلَاهُ مُغْـدِقٌ أَسْـفَلُهُ، وَإِنَّـهُ لَيَعْلُـو وَمَـا يُعْـلَى، وَإِنَّهُ لَيَحْطِمُ مَـا تَحْتَـهُ». رَوَاهُ الحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ، وَوَافَقَـهُ الذَّهَبِيُّ.

وَلَـمَّا تَـلَا رَسُـولُ اللـهِ ﷺ عَـلَى الطُّفَيْـلِ بْـنِ عَمْـرٍو الـدَّوْسِيِّ القُـرْآنَ، وَكَانَ رَجُـلًا لَبِيبًـا شَـاعِرًا، مَـا يَخْفَـى عَلَيْـهِ الحَسَـنُ مِـنَ القَبِيـحِ، قَـالَ: وَاللـهِ مَـا سَـمِعْتُ قَـوْلًا قَـطُّ أَحْسَـنَ مِنْـهُ، وَلَا أَمْـرًا أَعْـدَلَ مِنْـهُ. فَلَـوْ أَنَّنَـا مِـنْ أَرْبَـابِ اللُّغَـةِ وَالبَيَـانِ وَالفَصَاحَـةِ وَاللِّسَـانِ؛ لَتَلَذَّذْنَـا بِحَـلَاوَةِ آيَاتِـهِ، وَجَـمَالِ كَلِمَاتِـهِ، وَرَصَانَـةِ أُسْـلُوبِهِ، وَجَـمَالِ تَرَاكِيبِـهِ وَنَسَـقِهِ، وَجَزَالَـةِ مَعَانِيـهِ، وَقُـوَّةِ مَبَانِيـهِ؛ فَإِنَّـهُ يَأْخُـذُ بِمَجَامِـعِ القُلُـوبِ وَالآذَانِ وَالعُقُـولِ وَالأَذْهَـانِ.

فَصْلٌ:

قَالَ تَعَالَى: (الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا(١)قَيِّمًا).
وَقَالَ تَعَالَى: (وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللهُ).

فَـ «الكِتَابُ» هُوَ القُرْآنُ المُسْتَقِيمُ الَّذِي لَا عِدْلَ لَهُ، وَلَا عِوَضَ عَنْهُ، تَكَلَّمَ اللهُ بِهِ، وَأَنْزَلَهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُصَدِّقًا لِكُتُبِ اللهِ قَبْلَهُ، حَافِظًا لَهَا، أَمِينًا عَلَيْهَا، نَاسِخًا لِجَمِيعِهَا، كَافِيًا عَنْهَا، لَا يَحِلُّ التَّحَاكُمُ إِلَّا إِلَى الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَلَا الحُكْمُ إِلَّا بِالقُرْآنِ وَالحَدِيثِ.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ)، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلِلتِّرْمِذِيِّ: (كِتَابُ اللهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ. وَصَحَّحَهُ غَيْرُهُ.

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ خَطَبَ النَّاسَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَقَالَ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ، فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا، كِتَابَ اللهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ). رَوَاهُ الآجُرِّيُّ وَلَهُ شَوَاهِدُ فِيهَا مَقَالٌ، وَقَدْ صُحِّحَ إِسْنَادُهُ.

وَثَبَتَ عَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ الْقُرْآنَ وَمِثْلَهُ مَعَهُ). رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

قَالَ ابْنُ تَيْمِيَّةَ: «وَهَذَا الْمَعْنَى مَحْفُوظٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ».

وَقَالَ حَسَّانُ بْنُ عَطِيَّةَ: «كَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ بِالْقُرْآنِ، فَيُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا كَمَا يُعَلِّمُهُ الْقُرْآنَ».

فَصْلٌ:

قَالَ تَعَالَى: (إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا).

فَالقُرْآنُ هُوَ الَّذِي يُسَدِّدُ مَنْ آمَنَ بِهِ، وَتَدَبَّرَهُ، وَعَمِلَ بِمَا فِيهِ، لِأَفْضَلِ السُّبُلِ، وَأَحْسَنِ الطُّرُقِ، وَأَصْوَبِ الأُمُورِ المُوَصِّلَةِ لِسَعَادَةِ الدَّارَيْنِ.

قَالَ تَعَالَى: (وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ).
فَهَذَا تَقْرِيرُ عَالَمِ الجِنِّ الَّذِينَ أُوتُوا مِنَ القُوَّةِ الخَارِقَةِ مَا لَا نَصِلُ إِلَى مِثْلِهَا مَهْمَا تَقَدَّمْنَا فِي مَجَالِ التِّقْنِيَّةِ، فَإِنْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ وَصَلُوا لِلْقَمَرِ، وَهِيَ دَعْوَى لَا تَزَالُ تَحْتَاجُ إِلَى بَيِّنَةٍ، فَقَدْ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنِ الجِنِّ أَنَّهُمْ قَالُوا: (وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا).

فَالقُرْآنُ مَنْهَجٌ رَبَّانِيٌّ لِلْحَيَاةِ العَالَمِيَّةِ الصَّحِيحَةِ، فَهُوَ صَالِحٌ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَعَصْرٍ وَمِصْرٍ.

فَصْلٌ:

قَالَ تَعَالَى: (قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)،
وَقَالَ: (فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللهِ).

فَالقُرْآنُ مُعْجِزَةٌ إِلَهِيَّةٌ، وَتَحَدٍّ رَبَّانِيٍّ لَا يَسْتَطِيعُ العَالَمُ بِأَكْمَلِهِ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَلَوْ جُمِعَتْ فَصَاحَةُ فُصَحَائِهِ وَبَلَاغَةُ بُلَغَائِهِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي رَجُلٍ وَاحِدٍ.

وَقَدِ اشْتَمَلَ القُرْآنُ عَلَى أَنْوَاعِ الإِعْجَازِ، مِثْلِ الإِعْجَازِ البَيَانِيِّ، وَالإِعْجَازِ العِلْمِيِّ، وَالإِعْجَازِ التَّشْرِيعِيِّ، وَالإِعْجَازِ الغَيْبِيِّ.

فَالمُتَأَمِّلُ فِي آيَاتِ القُرْآنِ يَجِدُ العَجَائِبَ، فَفِي بَيَانِهِ وَأَحْكَامِهِ وَقَصَصِهِ وَأَمْثَالِهِ وَأَخْبَارِهِ الغَيْبِيَّةِ وَالطِّبِّيَّةِ وَالكَوْنِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ العَجَبُ العُجَابُ،
قَالَ تَعَالَى: (لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللهِ).

فَعَزَاؤُنَا لِقُلُوبٍ جَامِدَةٍ قَاسِيَةٍ مُتَحَجِّرَةٍ عَاجِزَةٍ أَنْ تَتَشَقَّقَ وَتَتَصَدَّعَ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَهِيَ تَسْمَعُ كَلَامَهُ وَتَتْلُو قُرْآنَهُ، وَالوَيْلُ كُلُّ الوَيْلِ لِمَنْ لَمْ يُبَالِ بِوَعْدِ القُرْآنِ وَوَعِيدِهِ، وَتَرْغِيبِهِ وَتَرْهِيبِهِ.
قَالَ تَعَالَى: (يَسْمَعُ آيَاتِ اللهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ).

فَصْلٌ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾. وَهِيَ اللَّيْلَةُ المُبَارَكَةُ ازْدَادَتْ بَرَكَةً بِنُزُولِ القُرْآنِ فِيهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «نَـزَلَ القُرْآنُ كُلُّهُ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ القَدْرِ فِي رَمَضَانَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ اللهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ فِي الأَرْضِ شَيْئًا أَنْـزَلَهُ مِنْهُ حَتَّى جَمَعَهُ». قَالَ: وَكَانَ بَيْنَ أَوَّلِهِ وَآخِرِهِ عِشْرُونَ سَنَةً.

وَفِي رِوَايَةٍ: «أُنْزِلَ القُرْآنُ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ الذِّكْرِ الَّذِي عِنْدَ رَبِّ الْعِزَّةِ، حَتَّى وُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ، وَصَحَّحَهُ الحَاكِمُ. وَيُسْتَدَلُّ بِهَذَا لِأَصْحَابِ القَوْلِ الرَّاجِحِ أَنَّ تَرْتِيبَ سُوَرِ القُرْآنِ، وَتَرْتِيبَ آيَاتِ السُّوَرِ مِنْ عِنْدِ اللهِ تَعَالَى.

وَرَوَى أَحْمَدُ، وَأَصْحَابُ السُّنَنِ الثَّلَاثَةِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ وَالْحَاكِمُ، وَحَسَّنَهُ التِّرْمِذِيُّ، مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مِمَّا يَأْتِي عَلَيْهِ الزَّمَانُ وَهُوَ يُنْزَلُ عَلَيْهِ السُّوَرُ ذَوَاتُ الْعَدَدِ، فَكَانَ إِذَا نَزَلَ عَلَيْهِ الشَّيْءُ دَعَا بَعْضَ مَنْ كَانَ يَكْتُبُ فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَؤُلَاءِ الآيَاتِ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا»، وَإِذَا نَزَلَتْ عَلَيْهِ الآيَةَ فَيَقُولُ: «ضَعُوا هَذِهِ الآيَةَ فِي السُّورَةِ الَّتِي يُذْكَرُ فِيهَا كَذَا وَكَذَا».

وَعَنْ عَائِشَةَ، عَنْ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ: أَسَرَّ إِلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ جِبْرِيلَ يُعَارِضُنِي بِالْقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ، وَإِنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجَلِي. رَوَاهُ البُخَارِيُّ. قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَأَمَّا تَرْتِيبُ الْمُصْحَفِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ الْآنَ، فَقَالَ الْقَاضِي أَبُو بَكْرٍ الْبَاقِلَّانِيُّ: يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الَّذِي أَمَرَ بِتَرْتِيبِهِ هَكَذَا،

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ اجْتِهَادِ الصَّحَابَةِ، ثُمَّ رُجِّحَ الْأَوَّلُ بِمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَارِضُ بِهِ جِبْرِيلَ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّهُ عَارَضَهُ بِهِ هَكَذَا عَلَى هَذَا التَّرْتِيبِ، وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ».

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَالْحَاكِمُ، مِنْ طَرِيقِ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ لَا يَعْلَمُ خَتْمَ السُّورَةِ حَتَّى يَنْزِلَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، وَفِي رِوَايَةٍ: فَإِذَا نَزَلَتْ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ عَلِمُوا أَنَّ السُّورَةَ قَدِ انْقَضَتْ».

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ تَرْتِيبَ الْمُصْحَفِ كَانَ تَوْقِيفًا، مَا أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا، عَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ حُذَيْفَةَ الثَّقَفِيِّ، قَالَ: «كُنْتُ فِي الْوَفْدِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا مِنْ ثَقِيفٍ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ وَفِيهِ: فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: طَرَأَ عَلَيَّ حِزْبِي مِنَ الْقُرْآنِ، فَأَرَدْتُ أَنْ لَا أَخْرُجَ حَتَّى أَقْضِيَهُ، قَالَ: فَسَأَلْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قُلْنَا: كَيْفَ تُحَزِّبُونَ الْقُرْآنَ؟ قَالُوا: نُحَزِّبُهُ ثَلَاثَ سُوَرٍ، وَخَمْسَ سُوَرٍ، وَسَبْعَ سُوَرٍ، وَتِسْعَ سُوَرٍ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ، وَحِزْبُ الْمُفَصَّلِ، مِنْ ق حَتَّى تَخْتِمَ».

وَرَوَى أَحْمَدُ، وَابْنُ أَبِي دَاوُدَ، وَالطَّبَرِيُّ، مِنْ طَرِيقِ عُبَيْدَةَ بْنِ عَمْرٍو السَّلْمَانِيِّ، أَنَّ الَّذِي جَمَعَ عَلَيْهِ عُثْمَانُ النَّاسَ يُوَافِقُ الْعَرْضَةَ الْأَخِيرَةَ، وَمِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: كَانَ جِبْرِيلُ يُعَارِضُ النَّبِيَّ ﷺ بِالْقُرْآنِ .... الْحَدِيثَ نَحْوَ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَزَادَ فِي آخِرِهِ: فَيَرَوْنَ أَنَّ قِرَاءَتَنَا أَحْدَثُ الْقِرَاءَاتِ عَهْدًا بِالْعَرْضَةِ الْأَخِيرَةِ، وَعِنْدَ الْحَاكِمِ نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَإِسْنَادُهُ حَسَنٌ. وَقَدْ صَحَّحَهُ هُوَ، وَلَفْظُهُ: عُرِضَ الْقُرْآنُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عَرْضَاتٍ، وَيَقُولُونَ: إِنَّ قِرَاءَتَنَا هَذِهِ هِيَ الْعَرْضَةُ الْأَخِيرَةُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ خُمَيْرِ بْنِ مَالِكٍ - بِالْخَاءِ مُصَغَّر - سَمِعْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ يَقُولُ: لَقَدْ أَخَذْتُ مِنْ فِي رَسُولِ اللهِ ﷺ سَبْعِينَ سُورَةً.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي شَرْحِ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ: «وَفِيهِ حُجَّةٌ لِمَنْ يَقُولُ: إِنَّ تَرْتِيبَ السُّوَرِ اجْتِهَادٌ، وَلَيْسَ بِتَوْقِيفٍ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ ...

وَلَا خِلَافَ أَنَّ تَرْتِيبَ آيَاتِ كُلِّ سُورَةٍ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ الْآنَ فِي الْمُصْحَفِ تَوْقِيفٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى، وَعَلَى ذَلِكَ نَقَلَتْهُ الْأُمَّةُ عَنْ نَبِيِّهَا ﷺ».

فَصْلٌ:

قَالَ تَعَالَى: (رَسُولٌ مِّنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً).

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَقَدْ أَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ مَجْمُوعٌ فِي الصُّحُفِ فِي قَوْلِهِ: (يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً) الْآيَةَ، وَكَانَ الْقُرْآنُ مَكْتُوبًا فِي الصُّحُفِ، لَكِنْ كَانَتْ مُفَرَّقَةً، فَجَمَعَهَا أَبُو بَكْرٍ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ».

وَقَالَ تَعَالَى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ). قَالَ قَتَادَةُ: «حِفْظَهُ وَتَأْلِيفَهُ». رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ.

فَالْمُصْحَفُ الْمَوْجُودُ بَيْنَ أَيْدِينَا جَمَعَهُ اللهُ كُلَّهُ فِي صَدْرِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَفِي صُدُورِ أَصْحَابِهِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ حَفِظَهُ كُلَّهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ حَفِظَ بَعْضَهُ، وَمَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ كُتِبَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ غَيْرَ مَجْمُوعٍ بَيْنَ دَفَّتَيْنِ، وَإِنَّمَا مُتَفَرِّقٌ.

ثُمَّ جَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فِي صُحُفٍ، ثُمَّ جَمَعَهُ عُثْمَانُ فِي مُصْحَفٍ وَاحِدٍ عَلَى قِرَاءَةِ قُرَيْشٍ؛ لِأَنَّهُ نَزَلَ بِلُغَتِهَا، مُقَدِّمًا آخِرَ عَرْضَةٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَجْوِيدًا لَهُ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي دَاوُدَ فِي الْمَصَاحِفِ، قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ، عَنْ عَبْدِ خَيْرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عَلِيًّا يَقُولُ: «أَعْظَمُ النَّاسِ فِي الْمَصَاحِفِ أَجْرًا أَبُو بَكْرٍ - رَحْمَةُ اللهِ عَلَى أَبِي بَكْرٍ - هُوَ أَوَّلُ مَنْ جَمَعَ كِتَابَ اللهِ».

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُنْصِفُ مَا فَعَلَهُ أَبُو بَكْرٍ مِنْ ذَلِكَ، جَزَمَ بِأَنَّهُ يُعَدُّ فِي فَضَائِلِهِ، وَيُنَوِّهُ بِعَظِيمِ مَنْقَبَتِهِ؛ لِثُبُوتِ قَوْلُهُ ﷺ: مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا، فَمَا جَمَعَ الْقُرْآنَ أَحَدٌ بَعْدَهُ إِلَّا وَكَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

قَالَ مُقَيِّدُهُ: وَمِثْلُ هَذَا يَحْمِلُنَا عَلَى الْمُسَارَعَةِ وَالْمُسَابَقَةِ إِلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَعُلُومِهِ، وَنَشْرِ الْمَصَاحِفِ عَبْرَ الوَسَائِلِ الحَدِيثَةِ وَالأَفْكَارِ المُوَاكِبَةِ لِتَطَوُّرَاتِ التِّقْنِيَّةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛

فَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فَصْلٌ:

عَـنِ ابْـنِ السَّـبَّاقِ: «أَنَّ زَيْـدَ بْـنَ ثَابِـتٍ الْأَنْصَـارِيَّ رَضِيَ اللـهُ عَنْـهُ، وَكَانَ مِمَّـنْ يَكْتُـبُ الْوَحْـيَ، قَـالَ: أَرْسَـلَ إِلَيَّ أَبُـو بَكْـرٍ مَقْتَـلَ أَهْـلِ الْيَمَامَـةِ، وَعِنْـدَهُ عُمَـرُ، فَقَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ: إِنَّ عُمَـرَ أَتَـانِي، فَقَـالَ: إِنَّ الْقَتْـلَ قَـدِ اسْـتَحَرَّ يَـوْمَ الْيَمَامَـةِ بِالنَّـاسِ، وَإِنِّي أَخْـشَى أَنْ يَسْـتَحِرَّ الْقَتْـلُ بِالْقُـرَّاءِ فِي الْمَوَاطِـنِ، فَيَذْهَـبَ كَثِيرٌ مِـنَ الْقُـرْآنِ، إِلَّا أَنْ تَجْمَعُـوهُ، وَإِنِّي لَأَرَى أَنْ تَجْمَـعَ الْقُـرْآنَ، قَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ: قُلْـتُ لِعُمَـرَ: كَيْـفَ أَفْعَـلُ شَـيْئًا لَـمْ يَفْعَلْـهُ رَسُـولُ اللـهِ ﷺ؟ فَقَـالَ عُمَـرُ: هُـوَ وَاللـهِ خَـيْرٌ، فَلَـمْ يَـزَلْ عُمَـرُ يُرَاجِعُنِـي فِيـهِ حَتَّـى شَرَحَ اللـهُ لِذَلِـكَ صَـدْرِي، وَرَأَيْـتُ الَّـذِي رَأَى عُمَـرُ، قَـالَ زَيْـدُ بْـنُ ثَابِـتٍ: وَعُمَـرُ عِنْـدَهُ جَالِـسٌ لَا يَتَكَلَّـمُ،

فَقَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ: إِنَّـكَ رَجُـلٌ شَـابٌّ عَاقِـلٌ وَلَا نَتَّهِمُـكَ، كُنْـتَ تَكْتُـبُ الْوَحْـيَ لِرَسُـولِ اللـهِ ﷺ، فَتَتَبَّـعِ الْقُـرْآنَ فَاجْمَعْـهُ. فَوَاللـهِ لَـوْ كَلَّفَنِـي نَقْـلَ جَبَـلٍ مِـنَ الْجِبَـالِ مَـا كَانَ أَثْقَـلَ عَـلَيَّ مِـمَّا أَمَـرَنِي بِـهِ مِـنْ جَمْـعِ الْقُـرْآنِ. قُلْـتُ: كَيْـفَ تَفْعَـلَانِ شَـيْئًا لَـمْ يَفْعَلْـهُ النَّبِـيُّ ﷺ؟ فَقَـالَ أَبُـو بَكْـرٍ: هُـوَ وَاللـهِ خَـيْرٌ، فَلَـمْ أَزَلْ أُرَاجِعُـهُ حَتَّـى شَرَحَ اللـهُ صَـدْرِي لِلَّـذِي شَرَحَ اللـهُ لَـهُ صَـدْرَ أَبِي بَكْـرٍ وَعُمَـرَ، فَقُمْـتُ: فَتَتَبَّعْـتُ الْقُـرْآنَ أَجْمَعُـهُ مِـنَ الرِّقَـاعِ، وَالْأَكْتَـافِ، وَالْعُسُـبِ، وَصُـدُورِ الرِّجَـالِ، حَتَّـى وَجَـدْتُ مِـنْ سُـورَةِ التَّوْبَـةِ آيَتَـيْنِ مَـعَ خُزَيْمَـةَ الْأَنْصَـارِيِّ لَـمْ أَجِدْهُـمَا مَـعَ أَحَـدٍ غَـيْرِهِ: ﴿لَقَـدْ جَاءَكُـمْ رَسُـولٌ مِـنْ أَنْفُسِـكُمْ عَزِيـزٌ عَلَيْـهِ مَـا عَنِتُّـمْ حَرِيـصٌ عَلَيْكُـمْ﴾ إِلَى آخِرِهِـمَا. وَكَانَـتِ الصُّحُـفُ الَّتِـي جُمِـعَ فِيهَـا الْقُـرْآنُ عِنْـدَ أَبِي بَكْـرٍ حَتَّـى تَوَفَّـاهُ اللـهُ، ثُـمَّ عِنْـدَ عُمَـرَ حَتَّـى تَوَفَّـاهُ اللـهُ، ثُـمَّ عِنْـدَ حَفْصَـةَ بِنْـتِ عُمَـرَ». رَوَاهُ الْبُخَـارِيُّ.

وَعَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ: «أَنَّ حُذَيْفَـةَ بْـنَ الْيَـمَانِ قَـدِمَ عَـلَى عُثْـمَانَ، وَكَانَ يُغَـازِي أَهْـلَ الشَّـأْمِ فِي فَتْـحِ إِرْمِينِيَـةَ وَأَذْرَبِيجَـانَ مَـعَ أَهْـلِ الْعِـرَاقِ، فَأَفْـزَعَ حُذَيْفَـةَ اخْتِلَافُهُـمْ فِي الْقِـرَاءَةِ، فَقَـالَ حُذَيْفَـةُ لِعُثْـمَانَ: يَـا أَمِـيرَ الْمُؤْمِنِـينَ، أَدْرِكْ هَـذِهِ الْأُمَّـةَ

قَبْـلَ أَنْ يَخْتَلِفُـوا فِي الْكِتَـابِ، اخْتِـلَافَ الْيَهُـودِ وَالنَّصَـارَى، فَأَرْسَـلَ عُثْـمَانُ إِلَى حَفْصَـةَ: أَنْ أَرْسِـلِي إِلَيْنَـا بِالصُّحُـفِ نَنْسَـخُهَا فِي الْمَصَاحِـفِ ثُـمَّ نَرُدُّهَـا إِلَيْـكِ، فَأَرْسَـلَتْ بِهَـا حَفْصَـةُ إِلَى عُثْـمَانَ، فَأَمَـرَ زَيْـدَ بْـنَ ثَابِـتٍ، وَعَبْـدَ اللـهِ بْـنَ الزُّبَـيْرِ، وَسَـعِيدَ بْـنَ الْعَـاصِ، وَعَبْـدَ الرَّحْمَـنِ بْـنَ الْحَـارِثِ بْـنِ هِشَـامٍ، فَنَسَـخُوهَا فِي الْمَصَاحِـفِ،

وَقَـالَ عُثْـمَانُ لِلرَّهْـطِ الْقُرَشِـيِّينَ الثَّلَاثَـةِ: إِذَا اخْتَلَفْتُـمْ أَنْتُـمْ وَزَيْـدُ بْـنُ ثَابِـتٍ فِي شَيْءٍ مِـنَ الْقُـرْآنِ فَاكْتُبُـوهُ بِلِسَـانِ قُرَيْـشٍ، فَإِنَّمَـا نَـزَلَ بِلِسَـانِهِمْ، فَفَعَلُـوا، حَتَّـى إِذَا نَسَـخُوا الصُّحُـفَ فِي الْمَصَاحِـفِ رَدَّ عُثْـمَانُ الصُّحُـفَ إِلَى حَفْصَـةَ، وَأَرْسَـلَ إِلَى كُلِّ أُفُـقٍ بِمُصْحَـفٍ مِـمَّا نَسَـخُوا، وَأَمَـرَ بِمَـا سِـوَاهُ مِـنَ الْقُـرْآنِ فِي كُلِّ صَحِيفَـةٍ أَوْ مُصْحَـفٍ أَنْ يُحْـرَقَ». رَوَاهُ الْبُخَـارِيُّ.

وَأَخْـرَجَ ابْـنُ أَبِي دَاوُدَ، قَـالَ ابْـنُ حَجَـرٍ: بِإِسْـنَادٍ صَحِيـحٍ، مِـنْ طَرِيـقِ سُـوَيْدِ بْـنِ غَفَلَـةَ، قَـالَ: قَـالَ عَـلِيٌّ: «لَا تَقُولُـوا فِي عُثْـمَانَ إِلَّا خَـيْرًا، فَوَاللـهِ مَـا فَعَـلَ الَّـذِي فَعَـلَ فِي الْمَصَاحِـفِ إِلَّا عَـنْ مَـلَأٍ مِنَّـا، قَـالَ: مَـا تَقُولُـونَ فِي هَـذِهِ الْقِـرَاءَةِ؟ لقـد بَلَغنِـي أَنَّ بَعْضَهُـمْ يَقُـولُ: إِنَّ قِـرَاءَتِي خَـيْرٌ مِـنْ قِرَاءَتِـكَ، وَهَـذَا يَـكَادُ أَنْ يَكُـونَ كُفْـرًا، قُلْنَـا: فَـمَا تَـرَى؟ قَـالَ: أَرَى أَنْ نَجْمَـعَ النَّـاسَ عَـلَى مُصْحَـفٍ وَاحِـدٍ، فَـلَا تَكُـونُ فُرْقَـةٌ وَلَا اخْتِـلَافٌ، قُلْنَـا: فَنِعْـمَ مَـا رَأَيْـتَ».

قَـالَ ابْـنُ التِّـينِ وَغَـيْرُهُ: «الْفَـرْقُ بَـيْنَ جَمْـعِ أَبِي بَكْـرٍ وَبَـيْنَ جَمْـعِ عُثْـمَانَ؛ أَنَّ جَمْـعَ أَبِي بَكْـرٍ كَانَ لِخَشْـيَةِ أَنْ يَذْهَـبَ مِـنَ الْقُـرْآنِ شَيْءٌ بِذَهَـابِ حَمَلَتِـهِ؛ لِأَنَّـهُ لَـمْ يَكُـنْ مَجْمُوعًـا فِي مَوْضِـعٍ وَاحِـدٍ، فَجَمَعَـهُ فِي صَحَائِـفَ مُرَتِّبًـا لِآيَـاتِ سُـوَرِهِ عَـلَى مَـا وَقَفَهُـمْ عَلَيْـهِ النَّبِـيُّ ﷺ، وَجَمْـعُ عُثْـمَانَ كَانَ لَـمَّا كَـثُرَ الِاخْتِـلَافُ فِي وُجُـوهِ الْقُـرْآنِ حِـينَ قَـرَءُوهُ بِلُغَاتِهِـمْ عَـلَى اتِّسَـاعِ اللُّغَـاتِ، فَـأَدَّى ذَلِـكَ بِبَعْضِهِـمْ إِلَى تَخْطِئَـةِ بَعْضٍ، فَخَـشِيَ مِـنْ تَفَاقُـمِ الْأَمْـرِ فِي ذَلِـكَ، فَنَسَـخَ تِلْـكَ الصُّحُـفِ فِي مُصْحَـفٍ وَاحِـدٍ مُرَتِّبًـا

لِسُـوَرِهِ كَـمَا سَـيَأْتِي فِي بَـابِ تَأْلِيـفِ الْقُـرْآنِ، وَاقْتَـصَرَ مِـنْ سَـائِرِ اللُّغَـاتِ عَـلَى لُغَـةِ قُرَيْـشٍ مُحْتَجًّـا بِأَنَّـهُ نَـزَلَ بِلُغَتِهِـمْ، وَإِنْ كَانَ قَـدْ وَسَّـعَ فِي قِرَاءَتِـهِ بِلُغَـةِ غَيْرِهِمْ رَفْعًـا لِلْحَـرَجِ وَالْمَشَـقَّةِ فِي ابْتِـدَاءِ الْأَمْـرِ، فَـرَأَى أَنَّ الْحَاجَـةَ إِلَى ذَلِـكَ انْتَهَـتْ،

فَاقْتَصَرَ عَلَى لُغَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكَانَتْ لُغَةُ قُرَيْشٍ أَرْجَحَ اللُّغَاتِ فَاقْتَصَرَ عَلَيْهَا».

وَمِـمَّا يَنْبَغِـي التَّنَبُّـهُ لَـهُ أَنَّ الاجْتِـمَاعَ وَالأُلْفَـةَ عَـلَى الحَـقِّ خَـيْرٌ مِـنَ الخِـلَافِ وَالفُرْقَـةِ، بِسَـبَبِ جَهْـلِ المُتَعَالِمِـينَ فِي تَفْسِـيرِ القُـرْآنِ وَصُـوَرِ إِعْجَـازِهِ وَمَبَاحِـثِ عُلُومِـهِ، وَالغُلُـوِّ فِي فُنُونِـهِ كَفَـنِّ التَّجْوِيـدِ وَمُحَسِّـنَاتِ التِّـلَاوَةِ.

فَصْلٌ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ».

وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ وَفَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ الْقُرْآنَ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِحَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الْقُرْآنَ».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «كَانَ يَعْرِضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ مَرَّةً، فَعَرَضَ عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ فِي الْعَامِ الَّذِي قُبِضَ». رَوَاهَا البُخَارِيُّ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: «فَإِنَّ ظَاهِرَهُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا كَانَ يَقْرَأُ عَلَى الْآخَرِ».

فَمَا أَحْوَجَ العُلَمَاءَ فَضْلًا عَنْ طُلَّابِ العِلْمِ وَالمُقْرِئِينَ وَعَامَّةِ النَّاسِ إِلَى تَدَارُسِ القُرْآنِ، لَا لِيُبَاهِيَ بِهِ العُلَمَاءَ، أَوْ يُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ، أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ.

وَقَالَ البُخَارِيُّ: وَقَيَّدَ ابْنُ عَبَّاسٍ عِكْرِمَةَ عَلَى تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ وَالْفَرَائِضِ.

قَالَ ابْنُ حَجَرٍ: وَصَلَهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ، وَأَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ ... عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: كَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَجْعَلُ فِي رِجْلِي الْكَبْلَ، فَذَكَرَهُ، وَالْكَبْلُ هُوَ الْقَيْدُ.

وَعَنْ عَمْرٍو، سَمِعَ أَبَا الشَّعْثَاءِ يَقُولُ: هَذَا عِكْرِمَةُ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ، هَذَا أَعْلَمُ النَّاسِ.

فَصْلٌ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ﴾.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: «وَذُكِرَ عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ أَنَّهُ كَانَ يَتَأَوَّلُ هَذِهِ الآيَةَ، قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بالقُرآن»: أَيْ مَنْ لَمْ يَسْتَغْنِ بِهِ، وَيَقُولُ: أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾،

فَأَمَرَهُ بِالاسْتِغْنَاءِ بِالقُرْآنِ عَنِ المَالِ، قَالَ: وَمِنْهُ قَوْلُ الآخَرِ: مَنْ أُوتِيَ القُرْآنَ، فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا أَعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ؛ فَقَدْ عَظَّمَ صَغِيرًا وَصَغَّرَ عَظِيمًا».

فَالقُرْآنُ يَا عِبَادَ اللهِ يَكْفِي صَاحِبَهُ زِينَةً وَشَرَفًا وَسُؤْدَدًا، وَيُغْنِيهِ عَنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا وَحُطَامِهَا، فَلَا يَنْبَغِي لِمَنْ أُوتِيَ حِفْظَ القُرْآنِ وَالمُلَازَمَةَ لِتِلَاوَتِهِ عَلَى الدَّوَامِ، أَنْ يَلْتَفِتَ إِلَى الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ، وَلَا تَعْجَبَ بِهَا عَيْنُهُ طَمَعًا فِيهَا وَتَعَلُّقًا بِهَا؛ فَإِنَّ القُرْآنَ الَّذِي هُوَ كَلَامُ اللهِ عَزِيزٌ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ.

فَضْلُ الْقُرْآنِ وَالْقُرَّاءِ

لَقَـدْ تَوَافَـرَتِ الْآيَـاتُ الْقُرْآنِيَّـةُ وَالْأَحَادِيـثُ النَّبَوِيَّـةُ وَالْآثَـارُ السَّـلَفِيَّةُ فِي فَضْـلِ الْقُـرْآنِ الْكَرِيـمِ، وَفَضَائِـلِ سُـوَرِهِ وَآيَاتِـهِ، وَالْأَجْـرِ الْعَظِيـمِ الْمُتَرَتِّـبِ عَـلَى تِلَاوَتِـهِ وَحِفْظِـهِ، وَتَعَلُّمِـهِ وَتَعْلِيمِـهِ، وَتَدَبُّـرِهِ وَالْعَمَـلِ بِـهِ، وَفِي مَـدْحِ أَهْلِـهِ، وَمَـا لِأَصْحَابِـهِ وَحَفَظَتِـهِ مِـنَ الثَّـوَابِ الْجَزِيـلِ، وَالدَّرَجَـاتِ الْعُـلَى.

وَصَنَّـفَ أَهْـلُ الْعِلْـمِ فِي ذَلِـكَ الْمُصَنَّفَـاتِ، وَتَنَافَسَ الْمُتَنَافِسُـونَ فِي تِلَاوَتِـهِ وَحِفْظِهِ، وَمُدَارَسَـتِهِ وَالْعَمَـلِ بِـهِ، فَوَجَـدُوا حَلَاوَتَـهُ، وَدَاوَمُـوا عَـلَى قِرَاءَتِهِ.

قَـالَ النَّـوَوِيُّ: وَكَانَ السَّـلَفُ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُـمْ، لَهُـمْ عَـادَاتٌ مُخْتَلِفَـةٌ فِي قَـدْرِ مَـا يَخْتِمُـونَ فِيـهِ، فَعَـنِ الْأَكْثَرِيـنَ فِي كُلِّ سَـبْعِ لَيَـالٍ، وَعَـنْ كَثِيرِيـنَ فِي كُلِّ ثَـلَاثٍ.

وَعَـنْ إِبْرَاهِيـمَ بْـنِ سَـعْدٍ، قَـالَ: كَانَ أَبِي يَحْتَبِـي فَـمَا يَحِـلُّ حَبْوَتَـهُ حَتَّـى يَخْتِـمَ الْقُـرْآنَ.

وَأَمَّا الَّذِينَ يَخْتِمُونَ فِي رَكْعَةٍ فَلَا يُحْصَوْنَ لِكَثْرَتِهِمْ.

قَـالَ تَعَـالَى: (إِنَّ الَّذِيـنَ يَتْلُـونَ كِتَـابَ اللَّـهِ وَأَقَامُـوا الصَّـلَاةَ وَأَنْفَقُـوا مِـمَّا رَزَقْنَاهُـمْ سِرًّا وَعَلَانِيَـةً يَرْجُـونَ تِجَـارَةً لَّـنْ تَبُـورَ * لِيُوَفِّيَهُـمْ أُجُورَهُـمْ وَيَزِيدَهُـمْ مِّـنْ فَضْلِـهِ إِنَّـهُ غَفُـورٌ شَـكُورٌ).

رَوَى الطَّبَرِيُّ، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ مُطَرِّفٌ يَقُولُ: هَذِهِ آيَةُ الْقُرَّاءِ.

وَعَـنْ عُثْـمَانَ بْـنِ عَفَّـانَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ - ﷺ -: (إِنَّ أَفْضَلَكُـمْ مَـنْ تَعَلَّـمَ الْقُـرْآنَ وَعَلَّمَـهُ). مُتَّفَـقٌ عَلَيْـهِ.

اللَّحْنُ فِي الْقِرَاءَةِ

الْإِخْـلَالُ فِي قِـرَاءَةِ الْقُـرْآنِ، وَالْمَيْـلُ فِي أَدَاءِ التِّـلَاوَةِ بِمَـا يُغَـيِّرُ الْمَبْنَـى، سَـوَاءٌ غَـيَّرَ الْمَعْنَـى أَمْ لَـمْ يُغَـيِّرْهُ، وَهُـوَ اللَّحْـنُ الْجَـلِيُّ، أَوْ خَـرَجَ بِالْقِـرَاءَةِ عَـنْ عِلْـمِ الْقِـرَاءَةِ الْمُجَـوَّدَةِ، وَهُـوَ اللَّحْـنُ الْخَفِـيُّ: مِـنَ السَّـلْبِيَّاتِ الَّتِـي يَنْبَغِـي مُعَالَجَتُهَـا عَـلَى أَيْـدِي حُـذَّاقِ الْقِـرَاءَةِ الْمَهَـرَةِ.

قَـالَ تَعَـالَى: (قُرْآنًـا عَرَبِيًّـا غَـيْرَ ذِي عِـوَجٍ لَّعَلَّهُـمْ يَتَّقُـونَ). قَـالَ بَكْـرُ بْـنُ عَبْـدِ اللَّـهِ الْمُـزَنِيُّ: غَـيْرَ ذِي لَحْـنٍ.

وَاللَّحْـنُ الْجَـلِيُّ الَّـذِي يَتَغَـيَّرُ مَعَـهُ لَفْـظُ الْكَلِمَـةِ، حُكْمُـهُ التَّحْرِيـمُ، إِلَّا أَنْ يَعْجِـزَ الْقَـارِئُ عَـنْ تَعْدِيلِـهِ، وَأَمَّـا الْخَفِـيُّ الَّـذِي يَحْتَـاجُ إِلَى قَوَاعِـدِ التَّجْوِيـدِ وَأَحْكَامِـهِ، فَيَتَأَكَّـدُ اسْـتِحْبَابُ تَصْحِيحِـهِ لِتَحْسِـينِ التِّـلَاوَةِ، وَلَا يَجِـبُ.

وَحُكْـمُ صَـلَاةِ مَـنْ يَلْحَـنُ فِي قِرَاءَتِـهِ يَحْتَـاجُ إِلَى تَفْصِيـلٍ، فَـإِنْ كَانَ اللَّحْـنُ فِي الْفَاتِحَـةِ، فَـلَا يَخْلُـو إِمَّـا أَنْ يُغَـيِّرَ الْمَعْنَـى، كَأَنْ يَقْـرَأَ: (صِرَاطَ الَّذِيـنَ أَنْعَمْـتَ عَلَيْهِـمْ) فَيَضُـمُّ التَّـاءَ أَوْ يَكْسِرُهَـا فِي (أَنْعَمْـتَ)، فَيَجِـبُ عَلَيْـهِ تَصْحِيـحُ تِلَاوَتِـهِ مَـعَ الْقُـدْرَةِ، وَإِلَّا بَطَلَـتْ صَلَاتُـهُ؛ لِأَنَّ الْفَاتِحَـةَ رُكْـنٌ، وَلَا يُقَـدَّمُ إِمَامًـا إِلَّا أَنْ لَا يُوجَـدَ غَـيْرُهُ.

وَأَمَّـا إِنْ كَانَ اللَّحْـنُ لَا يُغَـيِّرُ الْمَعْنَـى، كَأَنْ يَقْـرَأَ (صِرَاطَ) بِضَـمِّ الطَّـاءِ أَوْ كَسْرِهَـا، فَصَلَاتُـهُ وَإِمَامَتُـهُ صَحِيحَـةٌ، وَعَلَيْـهِ أَنْ يُصَحِّـحَ تِلَاوَتَـهُ، وَلَا يُقَـدَّمَ إِمَامًـا إِلَّا أَنْ يَتَعَـذَّرَ غَـيْرُهُ.

وَأَمَّـا اللَّحْـنُ فِي قِـرَاءَةِ غَـيْرِ الْفَاتِحَـةِ، فَالصَّـلَاةُ مَعَـهُ صَحِيحَـةٌ، وَلَكِـنْ لَا يُقَـدَّمُ فِي الْإِمَامَـةِ إِلَّا الْأَقْـرَأُ.

قَـالَ ابْـنُ تَيْمِيَّـةَ: أَمَّـا اللَّحْـنُ فِي الْفَاتِحَـةِ الَّـذِي لَا يُحِيـلُ الْمَعْنَـى، فَتَصِـحُّ صَـلَاةُ صَاحِبِـهِ إِمَامًـا أَوْ مُنْفَـرِدًا ... وَأَمَّـا اللَّحْـنُ الَّـذِي يُحِيـلُ الْمَعْنَـى: إِذَا عَلِـمَ صَاحِبُـهُ

مَعْنَـاهُ، مِثْـلَ أَنْ يَقُـولَ: (صِرَاطَ الَّذِيـنَ أَنْعَمْـتَ عَلَيْهِـمْ) - بِضَـمِّ التَّـاءِ - وَهُـوَ يَعْلَـمُ أَنَّ هَـذَا ضَمِـيرُ الْمُتَكَلِّـمِ، لَا تَصِـحُّ صَلَاتُـهُ، وَإِنْ لَـمْ يَعْلَـمْ أَنَّـهُ يُحِيـلُ الْمَعْنَـى، وَاعْتَقَـدَ أَنَّ هَـذَا ضَمِـيرُ الْمُخَاطَـبِ، فَفِيـهِ نِـزَاعٌ. وَاَللَّـهُ أَعْلَـمُ.

وَقَـالَ ابْـنُ قُدَامَـةَ: «تُكْـرَهُ إِمَامَـةُ اللَّحَّـانِ، الَّـذِي لَا يُحِيـلُ الْمَعْنَـى - نَـصَّ عَلَيْـهِ أَحْمَـدُ - وَتَصِـحُّ صَلَاتُـهُ بِمَـنْ لَا يَلْحَـنُ؛ لِأَنَّـهُ أَتَى بِفَـرْضِ الْقِـرَاءَةِ، فَـإِنْ أَحَـالَ الْمَعْنَـى فِي غَـيْرِ الْفَاتِحَـةِ، لَـمْ يَمْنَـعْ صِحَّـةَ الصَّـلَاةِ، وَلَا الِائْتِـمَامَ بِـهِ، إِلَّا أَنْ يَتَعَمَّـدَهُ، فَتَبْطُـلَ صَلَاتُهُـمَا».

عـن أبي أُمَامَـة رضي اللـه عنـه، قـال: سـمعت رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - يقـول: «اقـرؤا القـرآن، فإنـه يـأتي يـوم القيامـة شـفيعًا لأصحابه». رواه مسـلم.

فأصحاب القرآن مَرَاتِب، على قَدْر تلاوته، وتَعَلُّمِه، وتعليمه، والعمل به.

عـن النَّـوَّاس بـن سَـمْعَان رضي اللـه عنـه، قـال: سـمعت رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - يقـول: «يُـؤْتَى يـوم القيامـة بالقـرآن وأهلـه الذيـن كانـوا يعملـون بـه في الدنيـا، تَقْدُمُـه سـورة البقـرة وآل عمـران، تُحاجَّـان عـن صاحبهـما». رواه مسـلم.

فهـذا واللـه الـشَّرَف: أن يُـؤْتَى بالقـرآن وبـك يـوم القيامـة؛ لكونـك صاحبـه في الدنيـا، تَتْلُـوه وتَتَعلَّمـه، وتَعمَـل بـه.

عـن عثـمان بـن عفـان رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: «خيركـم مَـن تَعَلَّـم القـرآن وعَلَّمَـه». رواه البخـاري.

فمـن أراد الخيريـة عـلى سـائر البَرِيَّـة، فعليـه بِمُدَارَسـة القـرآن: تصحيحًـا وتجويـدًا، وحفظًـا ومراجعـة، وتفسـيرًا وتَدبُّـرًا وعمـلًا.

عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا، قالـت: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: «

الـذي يَقْـرَأ القـرآن وهـو ماهـر بـه، مـع السَّـفَرَة الكِـرَام البَـرَرَة، والـذي يَقْـرَأ القـرآن ويَتَتَعْتَـع فيـه، وهـو عليـه شـاقٌّ، لـه أَجْـرَان». متفـق عليـه.
فمـن أَتقَـن التـلاوة، وبَـرَع في علومهـا، لـه أجـر ومَعِيَّـة مـع الملائكـة، ومـن يتلـو القـرآن، ويَتحَمَّـل مَشَـقَّة تحسـين القـراءة، لـه أَجْـر التـلاوة، وأَجْـر المَشَـقَّة.

عـن أبي مـوسى الأشـعري رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: «مَثَـل المُؤمِـن الـذي يَقْـرَأ القـرآن مَثَـل الأُتْرُجَّـة: رِيحُهـا طَيِّـب، وطَعمُهـا حُلْـو، ومَثَـل المُؤمِـن الـذي لا يَقْـرَأ القـرآن كمَثَـل التَّمْـرَة: لا رِيـحَ لهـا، وطَعمُهـا حُلْـو، ومَثَـل المنافـق الـذي يَقْـرَأ القـرآن كمَثَـل الرَّيحَانـة: رِيحُهـا طَيِّـب، وطَعمُهـا مُـرٌّ، ومَثَـل المنافـق الـذي لا يَقْـرَأ القـرآن كمَثَـل الحَنْظَلَـة: ليـس لهـا رِيـح، وطَعمُهـا مُـرٌّ». متفـق عليـه.
فَتأَمَّل بركة قراءة القرآن، وأثرها الإيجابي، حتى على المنافق.

عـن عمـر بـن الخطـاب رضي اللـه عنـه، أن النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - قـال: «إن اللـه يَرفَـع بهـذا الكتـاب أقوامًـا، ويَضَـع بـه آخريـن». رواه مسـلم.
فالقـرآن إمـا أن يَرفَعَـك، أو أن يَضَعَـك؛ فالرِّفْعَـة في القيـام بحقـه، والوضيعـة في الإعـراض عنـه وهَجْـرِه.
عـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما، عـن النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم -، قـال: «لا حَسَـدَ إلا في اثنتـين: رجـل آتـاه اللـه القـرآن، فهـو يَقُـوم بـه آنـاء الليـل وآنـاء النهـار، ورجـل آتـاه اللـه مـالًا، فهـو يُنفِقـه آنـاء الليـل وآنـاء النهـار». متفـق عليـه.
فأفضـل مـا تُنفَـق فيـه سـاعات الليـل والنهـار: تَعَلُّـم القـرآن، وتعليمـه، وحِفْظُـه، وتلاوتـه، والقيـام بحقوقـه.

ثَبَت عن ابن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه

وسـلم -: «مـن قـرأ حرفًـا مـن كتـاب اللـه فلـه حسـنة، والحسـنة بِعَـشْر أمثالهـا، لا أقـول: (الم) حـرف، ولكـن: ألـف حـرف، ولام حـرف، وميـم حـرف».
رواه الترمـذي، وقـال: حديـث حَسَـن صحيـح. وقـد اختُلِـف في رَفْعِـه ووَقْفِـه، عـلى أن لـه حُكْـمَ الرفـع.
فتَشَـبَّث بعبوديـة تـلاوة القـرآن ودراسـته، فسـيأتي اليـوم الـذي تحتـاج فيـه إلى الحسـنة الواحـدة.

ثَبَـت عـن عبـد اللـه بـن عمـرو بـن العـاص رضي اللـه عنهـما، عـن النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم -، قـال: «يُقَـال لصاحـب القـرآن: اقْـرَأْ وارْتَـقِ ورَتِّـل كـما كنـت تُرَتِّـل في الدنيـا، فـإن مَنْزِلَتَـك عنـد آخـر آيـة تَقْرَؤهـا». رواه أحمـد، وأبـو داود، والنسـائي، والترمـذي، وقـال: حديـث حَسَـن صحيـح.
فأَتْقِن تلاوة القرآن، واضْبِطْ حِفْظَه، فإن الثَّمَن الجَنَّة والدرجات العُلَى.

عـن أبي مـوسى رضي اللـه عنـه، عـن النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم -، قـال: «تَعاهَـدوا هـذا القـرآن، فوالـذي نَفْـس محمـد بيـده، لهـو أَشَـد تَفلُّتًـا مـن الإبـل في عُقُلِهـا». متفـق عليـه.
فخير ما تُصْرَف فيه لَحَظات عُمْرِك: حِفْظ القرآن ومراجعته.

عـن الحُمَيْـدِي، قـال: سـألت سـفيان الثـوري عـن الرجـل يغـزو: أَحَـبُّ إليـك أو يَقْـرَأ القـرآن؟ فقـال: يَقْـرَأ القـرآن؛ لأن النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم – قـال: «خيركـم مَـن تَعلَّـم القـرآن وعَلَّمَـه». (التبيـان)

قـال النـووي: واعلـم أن المذهـب الصحيـح المختـار، الـذي عليـه مَـن يُعتَمـد مـن العلـماء: أن قـراءة القـرآن أَفضَـل مـن التسـبيح والتهليـل، وغيرهـما مـن الأذكار، وقـد تظاهـرت الأدلـة عـلى ذلـك. واللـه أعلـم.

ثَبَـت عـن أبي مـوسى الأشـعري رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - ﷺ -: (إن مِـن إجـلال اللـه تعـالى: إِكـرَامَ ذِي الشَّـيْبَة المُسـلِم، وحَامِـل القـرآن غـير الغـالي فيـه والجـافي عنـه، وإِكـرَامَ ذي السـلطان المُقْسِـط). رواه أبـو داود، وحَسَّـنه النـووي، والذهبـي، وابـن مُفلِـح، والعراقـي، وابـن حَجَـر.

فمـن حَفِـظ القـرآن عَـن ظَهْـر قَلْـب، فقـد حَمَـل كلام اللـه في صـدره، فَحُـقَّ لِجَـوْف فيـه كلام اللـه أن يُجَـلَّ ويُكْـرَم.

روى أبو داود عن أبي الدرداء رضي الله عنه: أنه كان يَقْرَأ القرآن في الطريق.

وعـن أبي مـوسى الأشـعري رضي اللـه عنـه، قـال: «إني أَقْـرَأ القـرآن في صـلاتي، وأَقْـرَأ عـلى فـراشي».

وعـن عائشـة رضي اللـه عنهـا، قالـت: «إني لَأَقْـرَأ حِـزْبِي وأنـا مُضْطَجِعـة عـلى السريـر».

فهذا من الحرص والاجتهاد على ضَبْطِ القرآن، واسْتِذكاره، وعدم نسيانه.

عـن عُقبَـة بـن عامـر رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: (أفـلا يَغـدُو أَحدُكـم إلى المسـجد فيَعْلَـم، أو يَقْـرَأ آيتـين مـن كتـاب اللـه - عـز وجـل -، خـير لـه مِـن ناقتـين، وثـلاث خـير لـه مِـن ثـلاث، وأَربَـع خـير لـه مِـن أَربَـع، ومِـن أعدادهـنَّ مِـن الإبـل). رواه مسـلم.

فكم مِن مُفَرِّط في هذا الخير الكبير، والثواب الكثير، مع أنه سهل يسير!!

عـن أبي هريـرة رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - ﷺ -: (ومـا اجتمـع قـوم في بيـت مـن بيـوت اللـه، يَتلُـون كتـاب اللـه، ويَتَدارَسُـونه بينهـم؛ إلا نَزَلَـتْ عليهـم السَّـكِينة، وغَشِـيَتْهم الرحمـة، وحَفَّتْهـم الملائكـة، وذَكَرَهـم اللـه فيمـن عنـده). رواه مسـلم.

فهـذا الفضـل العظيـم يَحصُـل لِحَلَقـات القـرآن بالمسـاجد، ويَلْحَـق بهـا - إن شـاء اللـه - غيرهـا مـن الأماكـن، والوسـائل التعليميـة.

عـن معاويـة رضي اللـه عنـه، قـال: (إن رسـول اللـه - ﷺ - خَـرَج عـلى حَلْقـة مـن أصحابـه فقـال: مـا أَجلَسَـكم؟ قالـوا: جَلَسْـنا نَذكُـر اللـه، ونَحمَـده عـلى مـا هدانـا للإسـلام، ومَـنَّ بـه علينـا. قـال: آللـه مـا أَجلَسَـكم إلا ذاك؟ قالـوا: واللـه مـا أَجلَسَـنا إلا ذاك. قـال: أَمَـا إني لم أَسْـتَحْلِفْكم تُهْمَـةً لكـم، ولكنـه أتـاني جبريـل، فأخـبرني أن اللـه يُباهِـي بكـم الملائكـة). رواه مسـلم.

فالقرآن أَفضَل الذِّكْر، قال تعالى: (ص والقرآنِ ذِي الذِّكْرِ).

قال تعالى: (ولقد يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ).

لقد يَسَّر الله تلاوة القرآن وحِفْظَه، وأعان المُعلِّم والمُتعَلِّم.

وقـال أحـد السَّـلَف: كلـما زاد حِـزبِي مِـن القـرآن، زادت البركـة في وقتـي، ولا زِلْـتُ أَزِيـد حتـى بلـغ حِـزبِي عَـشَرَة أجـزاء.

قال تعالى: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ).

فَبَرَكة القرآن حَالَّة في الدنيا والآخرة.

قـال إبراهيـم المَقْـدِسِيُّ مُوصِيًـا الضيـاء المقـدسي: «أَكـثِر مِـن قـراءة القـرآن، يَتيَسَّر لـك الـذي تَطلُبُـه».

قـال الضيـاء: فرأيـت ذلـك وجَرَّبْتُـه كثـيرًا؛ فكنـت إذا قَـرَأتُ كثـيرًا تَيَسَّر لي مِـن سـماع الحديـث وكتابتـه الكثـير، وإذا لم أَقْـرَأ لم يَتيَسَّر لي.

قال تعالى: (فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ القُرْآنِ).

قـال أبـو هريـرة: «إن البيـت الـذي يُتـلَى فيـه القـرآن: اتَّسَـع بأهلـه، وكَـثُر خَـيرُه، وحَضَرَتْـه الملائكـة، وخَرَجَـتْ منـه الشـياطين، وإن البيـت الـذي لا يُتـلَى فيـه كتـاب

اللـه - عـز وجـل -: ضـاق بأهلـه، وقَـلَّ خَـيرُه، وخَرَجَـتْ منـه الملائكـة، وحَضَرَتْـه الشـياطين».

قال تعالى: (الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ القُرْآنَ).

قـال ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما: «عليكـم بالقـرآن، فتَعَلَّمـوه وعَلِّمـوه أبناءكـم؛ فإنكـم عنـه تُسـأَلون، وبـه تُجـزَون، وكفـى بـه واعظًـا لمـن عَقَـل».

عـن الأعمـش، قـال: مَـرَّ أعـرابي بعبـد اللـه بـن مسـعود، وهـو يُقْـرِئ قومًـا القـرآن، أو قـال: وعنـده قـوم يتعلمـون القـرآن، فقـال: مـا يَصنَـع هـؤلاء؟ فقـال ابـن مسـعود: «يَقتَسِـمون مـيراث محمـد - صـلى اللـه عليـه وسـلم -».
فـلا يَفوتنَّـك يـا مُحِـبُّ مـيراث الحبيـب - صـلى اللـه عليـه وسـلم -، وأَكـثِر منـه مـا اسـتطعت!

عـن عبـد اللـه بـن مسـعود رضي اللـه عنـه، أنـه كان يَقْـرَأ القـرآن، فَيَمُـر بالآيـة، فيقـول للرجـل: «خذهـا، فواللـه لهـي خـير مـما عـلى الأرض مـن شيء».
فآية من كتاب الله تَحفَظها، وتعمل بها، خير من الدنيا وما فيها.

قـال أبـو عُبَيْـد القاسـم بـن سـلام: عـن عُقبَـة بـن عامـر الجُهَنِـي، عـن النبـي - صـلى اللـه عليـه وسـلم - قـال: «لـو كان القـرآن في إِهـابٍ، ثـم أُلْقِـيَ في النـار مـا احْـتَرَق». رواه أحمـد وغـيره، وفي إسـناده ضَعْـف، وقـد حُسِّـن.
قـال أبـو عُبَيْـد: وَجْـه هـذا عندنـا: أن يكـون أراد بالإِهـاب قَلْـبَ المؤمـن وجَوْفَـه الـذي قـد وعـى القـرآن.
قَـالَ الهَيْثَمِـيُّ: «رَوَاهُ أَحْمَـدُ، وَأَبُـو يَعْـلَى، وَالطَّـبَرَانِيُّ، وَفِيـهِ ابْـنُ لَهِيعَـةَ، وَفِيـهِ خِـلَافٌ، وَفَسَّـرَهُ بَعْـضُ رُوَاةِ أَبِي يَعْـلَى بِـأَنَّ مَـنْ جَمَـعَ الْقُـرْآنَ، ثُـمَّ دَخَـلَ النَّـارَ فَهُـوَ شَرٌّ مِـنَ الْخِنْزِيـرِ».

قَـالَ البَغَـوِيُّ: حُـكِيَ عَـنْ أَحْمَـدَ بْـنِ حَنْبَـلٍ، قَـالَ: مَعْنَـاهُ: لَـوْ كَانَ الْقُـرْآنُ فِي إِهَـابٍ، يَعْنِـي: فِي جِلْـدٍ، فِي قَلْـبِ رَجُـلٍ، يُرْجَـى لِمَـنِ الْقُـرْآنُ مَحْفُـوظٌ فِي قَلْبِـهِ أَنْ لَا تَمَسَّـهُ النَّـارُ.

وَقَـالَ أَبُـو عَبْـدِ اللَّـهِ الْبُوشَـنْجِيُّ: مَعْنَـاهُ أَنَّ مَـنْ حَمَـلَ الْقُـرْآنَ وَقَـرَأَهُ، لَـمْ تَمَسَّـهُ النَّـارُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ.

قَـالَ رَحِمَـهُ اللَّـهُ: هَـذَا كَـمَا يُـرْوَى عَـنْ أَبِي أُمَامَـةَ، قَـالَ: «احْفَظُـوا الْقُـرْآنَ؛ فَـإِنَّ اللَّـهَ لَا يُعَـذِّبُ بِالنَّـارِ قَلْبًـا وَعَـى الْقُـرْآنَ».

عـن عائشـة رضـوان اللـه عليهـا، قالـت: «إن عـدد دَرَجِ الجَنَّـة بعـدد آيِ القـرآن، فمـن دخـل الجَنَّـة مِمَّـن قـرأ القـرآن، فليـس فَوْقَـه أَحَـد». رواه أبـو عُبَيْـد.

وعـدد آيـات القـرآن الكريـم: سـتة آلاف ومئتـان وسـت وثلاثـون آيـة، فهنيئًـا لمـن حَفِظَهـا وعَمِـل بهـا.

عـن عبـد اللـه بـن مسـعود رضي اللـه عنـه، قـال: «إذا أردتـم العِلْـم فَأَثِيروا القرآن؛ فـإن فيـه خَـبَرَ الأَوَّلِين والآخِرين».

مِصْدَاق ذلك قوله تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ).

عـن الحَسَـن، قـال: «مـا أنـزل اللـه - عـز وجـل - آيـة، إلا وهـو يُحِـبُّ أن يُعْلَـم فِيـمَ أُنْزِلَـتْ، ومـا أراد بهـا».

وأحسـبه قـال: عـن عمـرو بـن مُـرَّة، قـال: «إني لَأَمُـرُّ بالمَثَـل مـن كتـاب اللـه - عـز وجـل - ولا أَعرِفـه، فَأَغْتَـمُّ بـه؛ لقـول اللـه - عـز وجـل -: (وَتِلْـكَ الأَمْثَـالُ نَضْرِبُهَـا لِلنَّـاسِ وَمَـا يَعْقِلُهَـا إِلَّا العَالِمُـونَ).

قال تعالى: (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ).

قـال عبـد اللـه بـن مسـعود: والـذي نفـسي بيـده، إن حـق تلاوتـه: أن يُحَـلَّ حلالـه، ويُحَـرَّم حرامـه، ويَقْـرَأه كـما أنــزله اللـه، ولا يُحَـرِّف الكَلِم عـن مواضعه،

ولا يَتَأَوَّل منه شيئًا على غير تأويله.

عـن الضَّحَّـاك بـن مُزاحِـم، قـال: «مـا مِـن أَحَـد تَعَلَّـم القـرآن ثـم نَسِـيَه، إلا بذَنْـب يُحدِثـه؛ لأن اللـه - عـز وجـل - يقـول: (وَمَـا أَصَابَكُـمْ مِـنْ مُصِيبَـةٍ فَبِـمَا كَسَـبَتْ أَيْدِيكُـمْ)، وإن نسـيان القـرآن مِـن أَعْظَـم المصائـب».
فنسيان القرآن وتَفَلُّت الحفظ داء، دواؤه المراجعة.

عـن عُبَـادَة بـن الصامـت رضي اللـه عنـه، قـال: «كان رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - إذا قَـدِم عليـه مُهاجِـر دَفَعَـه إلى رجـل مِنَّـا يُعلِّمُـه القـرآن». رواه أحمـد، وغـيره.
وقـد بَعَـث مصعـب بـن عُمَـير، وابـن أُمِّ مَكتُـوم إلى أهـل المدينـة، وأَرسَـل معـاذ بـن جبـل إلى مكـة لتعليـم القـرآن وإقرائـه؛ فـكان مَـن يَحفَـظ القـرآن مِـن الصحابـة جَـمًّا غَفِـيرًا.

(آنَ لَكَ أَنْ تَكُونَ مَاهِرًا بِالْقُرْآنِ)
إِنَّ أَفْضَـلَ مَـا تُنْفَـقُ فِيـهِ الْأَوْقَـاتُ، وَأَجَـلَّ الْعِبَـادَاتِ وَالْقُرُبَـاتِ حِفْـظُ الْقُـرْآنِ الْمُبِـينِ، كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِـينَ، وَمُرَاجَعَتُـهُ وَتَصْحِيـحُ تِلَاوَتِـهِ.
فَعَـنْ أَبِي عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ السُّـلَمِيِّ، عَـنْ عُثْـمَانَ بْـنِ عَفَّـانَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، قَـالَ: قَـالَ النَّبِـيُّ - ﷺ -: (إِنَّ أَفْضَلَكُـمْ مَـنْ تَعَلَّـمَ الْقُـرْآنَ وَعَلَّمَـهُ). مُتَّفَـقٌ عَلَيْـهِ.
قَالَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَقْرِئُ الْكُوفَةِ: وَذَاكَ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعَدِي هَذَا.
وَعَـنْ عَائِشَـةَ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهَـا، قَالَـتْ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ - ﷺ -: (الَّـذِي يَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ وَهُـوَ مَاهِـرٌ بِـهِ، مَـعَ السَّـفَرَةِ الْكِـرَامِ الْـبَرَرَةِ). مُتَّفَـقٌ عَلَيْـهِ.
وَثَبَـتَ عَـنْ عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ عَمْـرٍو رَضِيَ اللَّـهُ عَنْهُـمَا، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ - ﷺ -:

(يُقَـالُ لِصَاحِـبِ الْقُـرْآنِ: اقْـرَأْ وَارْتَـقِ وَرَتِّـلْ، كَـمَا كُنْـتَ تُرَتِّـلُ فِي الدُّنْيَـا، فَـإِنَّ مَنْزِلَـكَ عِنْـدَ آخِـرِ آيَـةٍ تَقْرَؤُهَـا). رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِـذِيُّ، وَصَحَّحَـهُ.

حُكْمُ التَّجْوِيدِ

قَـالَ تَعَـالَى: (إِنَّـا أَنْزَلْنَـاهُ قُرْآنًـا عَرَبِيًّـا لَّعَلَّكُـمْ تَعْقِلُـونَ)؛ أَيْ: تَفْهَمُـونَ وَتَفْقَهُـونَ وَتَتَدَبَّـرُونَ وَتَعْمَلُـونَ.

وَقَالَ تَعَالَى: (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا). قَالَ قَتَادَةُ: بَيَّنَّاهُ تَبْيِينًا.

وَقَالَ تَعَالَى: (وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا). قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: بَيِّنْهُ بَيَانًا.

وَفِي صَحِيـحِ الْبُخَـارِيِّ وَمُسْـلِمٍ، وَاللَّفْـظُ لَـهُ، عَـنْ أَبِي مُـوسَى الْأَشْـعَرِيِّ رَضِيَ اللَّـهُ عَنْـهُ، قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -: «لَـوْ رَأَيْتَنِـي وَأَنَـا أَسْـتَمِعُ لِقِرَاءَتِـكَ الْبَارِحَـةَ، لَقَـدْ أُوتِيـتَ مِزْمَـارًا مِـنْ مَزَامِـيرِ آلِ دَاوُدَ». زَادَ أَبُـو يَعْـلَى وَغَيْرُهُ: «فَقَـالَ: أَمَـا إِنِّي لَـوْ عَلِمْـتُ بِمَكَانِـكَ لَحَبَّرْتُـهُ لَـكَ تَحْبِـيرًا»، وَلِابْـنِ سَـعْدٍ نَحْـوُهُ مِـنْ حَدِيـثِ أَنَـسٍ، قَـالَ ابْـنُ حَجَـرٍ: بِإِسْـنَادٍ عَـلَى شَرْطِ مُسْـلِمٍ.

فَتَجْوِيـدُ الْقِـرَاءَةِ وَتَحْسِـينُ التِّـلَاوَةِ وَحُسْـنُ الْأَدَاءِ، فِي التَّرْتِيـلِ وَالتَّحْقِيـقِ وَالْحَـدْرِ، مَنْهَـجُ الْقُـرَّاءِ، وَطَبِيعَـةٌ عَرَبِيَّـةٌ.

فَأَمَّـا التَّجْوِيـدُ الَّـذِي فِيـهِ تَنَطُّـعٌ وَتَكَلُّـفٌ وَوَسْوَسَـةٌ فَمُحْـدَثٌ، كَـمَا أَشَـارَ إِلَى ذَلِـكَ الْإِمَـامُ أَحْمَـدُ وَابْـنُ تَيْمِيَّـةَ وَابْـنُ الْقَيِّـمِ وَالذَّهَبِـيُّ وَغَيْرُهُـمْ، وَلِـمَا فِيـهِ مِـنْ صَرْفِ الْهِمَّـةِ وَإِشْـغَالِ الْقَلْـبِ عَـنْ التَّدَبُّـرِ وَالْخُشُـوعِ. وَأَمَّـا التَّجْوِيـدُ الْمُعْتَـدِلُ فَمَطْلَـبٌ شَرْعِـيٌّ.

وَفِي صَحِيـحِ الْبُخَـارِيِّ، عَـنْ قَتَـادَةَ، قَـالَ: سَـأَلْتُ أَنَـسَ بْـنَ مَالِـكٍ، عَـنْ قِـرَاءَةِ النَّبِـيِّ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ -، فَقَـالَ: «كَانَ يَمُـدُّ مَـدًّا».

وَفِيهِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُغَفَّلٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

- يَقْـرَأُ وَهُـوَ عَـلَى نَاقَتِـهِ، وَهِـيَ تَسِـيرُ بِـهِ، وَهُـوَ يَقْـرَأُ سُـورَةَ الْفَتْـحِ قِـرَاءَةً لَيِّنَـةً، يَقْـرَأُ وَهُـوَ يُرَجِّـعُ».

وَثَبَـتَ عَـنْ جَابِـرِ بْـنِ عَبْـدِ اللَّـهِ، قَـالَ: خَـرَجَ عَلَيْنَـا رَسُـولُ اللَّـهِ - صَـلَّى اللَّـهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ - وَنَحْـنُ نَقْـرَأُ الْقُـرْآنَ، وَفِينَـا الْأَعْـرَابِيُّ وَالْأَعْجَمِـيُّ، فَقَـالَ: اقْـرَءُوا، فَـكُلٌّ حَسَـنٌ، وَسَـيَجِيءُ أَقْـوَامٌ يُقِيمُونَـهُ كَـمَا يُقَـامُ الْقِـدْحُ، يَتَعَجَّلُونَـهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَـهُ. رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ، وَرَوَى نَحْـوَهُ عَـنْ سَـهْلٍ.

وَأَحْـكَامُ التَّجْوِيـدِ تَنْقَسِـمُ إِلَى لَازِمٍ وَمُسْـتَحَبٍّ؛ فَالَّتِـي يَتَرَتَّـبُ عَـلَى تَرْكِهَـا فَسَـادُ الْمَبْنَـى وَتَغْيِـيرُ الْمَعْنَـى؛ يَلْـزَمُ الْقَـارِئَ الْإِتْيَـانُ بِهَـا لِحَـقِّ التِّـلَاوَةِ، وَالْأَصْـلُ وُجُـوبُ تَعَلُّمِهَـا عَـلَى الْقَـادِرِ، وَأَمَّـا الَّتِـي لَا يَتَرَتَّـبُ عَـلَى تَرْكِهَـا فَسَـادُ الْمَبْنَـى وَتَغْيِـيرُ الْمَعْنَـى؛ فَيُسْـتَحَبُّ الْإِتْيَـانُ بِهَـا لِحُسْـنِ التِّـلَاوَةِ، وَيُسْـتَحَبُّ تَعَلُّمُهَـا، وَنَـصَّ بَعْـضُ أَهْـلِ الْعِلْـمِ عَـلَى أَنَّ تَعَلُّـمَ أَحْـكَامِ التَّجْوِيـدِ النَّظَرِيَّـةِ فَـرْضُ كِفَايَـةٍ؛ لِكَوْنِهَـا وَسِـيلَةً لِلْعَمَـلِيِّ. وَاَللَّـهُ أَعْلَـمُ.

أَخـرَج الشـيخان عـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما، قـال: «كان رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - يلقـاه جبريـل في كل ليلـة مـن رمضـان، فَيُدَارِسُـه القـرآن».

فينبغـي للمسـلم أن يَجتَهـد في دراسـة القـرآن وعَرْضِـه عـلى شـيخ للتصحيـح، والتجويـد، والحفـظ، والمراجعـة، والقـراءات، وفَهْـمِ المعـاني والأحـكام.

قال تعالى: (وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلًا).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: «بَيِّنْه بيانًا».

وقال الحَسَن: «اقْرَأْه قراءة بَيِّنَة».

فتبيين القراءة وتحسين التلاوة مَطلَب شرعي، ولكل عِلْم علومه وعلماؤه،

ومن سار على الطريق وصل بمشيئة الله.

قـال أبـو عُبَيْـدٍ القاسـم بـن سـلام: بـاب عَـرْضِ القُـرَّاء للقـرآن، ومـا يُسـتَحَبُّ لهـم مِـن أَخْـذِه عـن أهـل القـراءة، واتبـاع السَّـلَف فيهـا، والتمسـك بمـا تَعَلَّمـه بـه منهـا.

عـن ابـن سـيرين، قـال: نُبِّئْـتُ أن القـرآن كان يُعْـرَض عـلى رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - كل عـام مَـرَّةً في شـهر رمضـان، فلـما كان العـام الـذي تُـوفِّي فيـه، عُـرِض عليـه مَرَّتَـين.

عـن أُبَيٍّ بـن كعـب رضي اللـه عنـه، أن رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - قـال: «إن اللـه أَمَـرَني أن أَعْـرِض القـرآن عليـك». رواه أبـو عُبَيْـدٍ القاسـم بـن سـلام، (وهـو في الصحيحـين).

قـال أبـو عُبَيْـد: معنـى هـذا الحديـث عندنـا: أن رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - إنمـا أراد بذلـك العَـرْضِ عـلى أُبَيٍّ أن يَتعَلَّـم منـه القـراءة، ويَسـتَثْبِت فيهـا، ولِيَكُـون عَـرْضُ القـرآن سُـنَّة.

روى البخـاري، عـن عبـد اللـه بـن مسـعود رضي اللـه عنـه، قـال: «واللـه لقـد أَخَـذْتُ مـن فِي رسـول اللـه - ﷺ - بِضْعًـا وسـبعين سـورة».

وعن مجاهد، قال: «عَرَضْتُ القرآن على ابن عباس ثلاث مرات».

وعـن يزيـد بـن القَعْقَـاع: أنـه كان يُمسِـك المصحـف عـلى عبـد اللـه بـن عَيَّـاش، وعنـه أَخَـذَ القـراءة.

هكذا كان سَلَفُنا الصالح.

قال تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (٧١) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ).

وفي صحيح البخاري، أن النبي - ﷺ - قال: اقْرَأْ يا هشام - وقد أَقْرَأَه سورة الفرقان - فقرأ عليه، فقال - صلى الله عليه وسلم -: كذلك أُنْزِلَتْ، ثم قال: اقْرَأْ يا عمر، فقرأت القراءة التي أقرأني، فقال - صلى الله عليه وسلم -: كذلك أُنْزِلَتْ.

فإقراء القرآن، وعَرْضُه، وأَخْذُه: سُنَّة. ثَبَت عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (تَسمَعون ويُسمَع منكم، ويُسمَع مِمَّن سَمِع منكم). رواه أحمد، وأبو داود، والبزار، والضياء في «المختارة»، وغيرهم، وصححه ابن حبان، والحاكم.

لقد خَصَّ الله هذه الأُمَّة، ومَيَّزها بتلقي القرآن والحديث، بالسَّنَد المُتَّصِل إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (واللهِ الذي لا إله غيره، ما أُنزِلَت سورة من كتاب الله، إلا أنا أَعلَم أين أُنزِلَت، ولا أُنزِلَت آية من كتاب الله، إلا أنا أَعلَم فِيمَ أُنزِلَت، ولو أَعلَم أحدًا أَعلَم مني بكتاب الله، تُبَلِّغُه الإبل لرَكِبْتُ إليه). متفق عليه.

فهكذا كان عُلُوّ الهِمَّة عند سَلَف الأُمَّة.

جاء في أَثَر أنس رضي الله عنه، افتخار الخزرج على الأوس بقولهم: «منا أربعة جمعوا القرآن على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يَجْمَعْه غيرهم: زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وأبو زيد». أخرجه البزار، والطبراني، وأبو يَعْلَى، وغيرهم. قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح. وحَسَّن إسناده البوصيري.

فَحِفْظ القرآن شَرَف لحافظه، ومَفْخَرَة لأُسْرَته وقبيلته.

ثَبَت عن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله - ﷺ -، قال: «مَن أَحَبَّ أن

يَقْـرَأ القـرآن غَضًّـا كـما أُنـزِل، فَلْيَقْـرَأه عـلى قـراءة ابـن أُمِّ عَبْـد». رواه الحاكـم وغـيره وصَحَّحـه، قـال: ولـه شـاهد مُفَـسّر مـن حديـث عـمار بـن يـاسر: أن رسـول اللـه - ﷺ -: مَـرَّ بعبـد اللـه بـن مسـعود، وهـو يَقْـرَأ حرفًـا حرفًـا، وذَكَـرَه. فقـراءة القـرآن لهـا قواعـد وعلـوم، تَرْفَـع مـن مسـتوى التـلاوة وتُجَوِّدهـا.

عـن عبـد اللـه بـن عمـرو، قـال: سـمعت النبـي - ﷺ - يقـول: (خـذوا القـرآن مـن أربعـة: عبـد اللـه بـن مسـعود، وسـالم «مَـوْلَى أَبِي حذيفـة»، ومعـاذ بـن جبـل، وأُبَيِّ بـن كعـب). متفـق عليـه.

وعـن أنـس مرفوعًـا: (أَقْـرَأ أُمَّتِـي لكتـاب اللـه أُبَيُّ بـن كعـب). رواه أحمـد، والترمـذي، وغيرهـما، وقـد صُحِّـح.

وعن ابن عباس، قال: قال عمر: أُبَيٌّ أَقْرَؤُنا.

فَقُرَّاء القرآن مراتب، بحسب الضبط، والتجويد، ونحو ذلك.

عـن أبي مسـعود رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - ﷺ -: (يَـؤُمُّ القـوم أَقْرَؤُهـم لكتـاب اللـه). رواه مسـلم.

وعـن ابـن عمـر، قـال: لمـا اشـتد برسـول اللـه - ﷺ - وَجَعُـه، قيـل لـه في الصـلاة، فقـال: (مُـرُوا أبـا بكـر فَلْيُصَـلِّ بالنـاس). متفـق عليـه.

فمـن جمـع اللـه لـه حِفْـظ القـرآن، وتجويـده، وفِقْهَـه، والعمـل بـه، كالخلفـاء الأربعـة، فقـد أَسْـبَغ عليـه النعمـة وأَكْرَمـه.

قـال أبـو عبـد الرحمـن السُّـلَمِي: «حدثنـي الذيـن كانـوا يَقْـرَؤون عـلى عثـمان بـن عفـان، وعبـد اللـه بـن مسـعود، وأبي بـن كعـب: أن رسـول اللـه - ﷺ - كان يُقْرِئهـم العَـشْر - يعنـي الآيـات - فـلا يجاوزونهـا إلى عَـشْر أخـرى؛ حتـى يَتعَلَّمـوا مـا فيهـا مـن العمـل، فتَعَلَّمْنـا القـرآن والعمـل جميعًـا». أخرجـه أبـو عمـرو الداني.

فالمُوَفَّق مَن جَمَع بين الحفظ، والضبط، والتجويد، والتدبر، والفهم، والعمل.

عـن أبي عبـد الرحمـن السُّـلَمِي، قـال: «كنـا إذا تَعَلَّمنـا عَـشْر آيات مـن القرآن، لم نَتعَلَّـم العَـشْر التـي بعدهـا حتـى نَعـرِف حلالهـا وحرامهـا، وأَمْرَهـا ونَهْيَهـا». أخرجـه أبـو عمـرو الـداني.

فالحفـظ، والإتقـان، والفقـه، والعمـل: مطلـب إيجـابي، ولا مانـع مـن إنفـاق الوقـت لختـم القـرآن حفظًـا ومـا ينبغـي، ثـم يَتفَـرَّغ لعلومـه.

قال أنس: «كان الرجل إذا قرأ البقرة وآل عمران جَدَّ في أَعْيُنِنا». رواه أحمد.

وأقـام ابـن عمـر عـلى حِفْـظ البقـرة ثمـان سـنين. وهـو في الموطـأ، وطبقـات ابـن سـعد.

وروى أبوبكـر الحافـظ، وغـيره، عـن ابـن عمـر، قـال: تَعَلَّـمَ عمـر البقـرة في اثنتـي عـشرة سـنة، فلـما ختمهـا نَحَـر جَـزُورًا شُـكرًا للـه.

فَحِفْظ القرآن - كله أو بعضه، ولو سورة - نجاح وفلاح.

عـن عبـد اللـه بـن عمـرو، قـال: «جَمَعْـتُ القـرآن، فقـرأت بـه كل ليلـة ...». رواه النسـائي وابـن ماجـه.

وقـال أوس: سـألت أصحـاب رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: كيـف تُحَزِّبـون القـرآن؟ قالـوا: ثلاثًـا، وخمسًـا، وسـبعًا، وتسـعًا، وإحـدى عـشرة، وثـلاث عـشرة، وحِـزْب المُفَصَّـل وحـده. رواه أبـو داود.

فَبِهُدَاهم اقْتَدِه.

عـن عائشـة رضي اللـه عنهـا، قالـت: «كان خُلُـق نبـي اللـه - ﷺ - القـرآن». رواه مسلم .

وقال عبد الله بن مسعود: «ينبغي لقارئ القرآن: أن يُعرَف بِلَيْلِه إذا الناس

نائمـون، وبنهـاره إذا النـاس مُفطِـرون، وببكائـه إذا النـاس يضحكـون، وبِوَرَعِـه إذا النـاس يَخلِطـون، وبِصَمْتِـه إذا النـاس يخوضـون، وبخشـوعه إذا النـاس يختالـون».

عـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما، قـال: «تَنْـزِل السـورة عـلى محمـد - ﷺ - فنَتَعَلَّـم حلالها وحرامها، وأَمْرَهـا وزاجرهـا، ومـا ينبغـي أن يُوقَـف عنـده منهـا». وقـال الضَّحَّـاك في قولـه تعـالى: {وَلَكِـنْ كُونُـوا رَبَّانِيِّـينَ بِمَـا كُنْتُـمْ تُعَلِّمُـونَ الكِتَـابَ} قـال: حَـقٌّ عـلى كل مـن تَعَلَّـم القـرآن أن يكـون فقيهًـا.

عـن أبي هريـرة، قـال: سـمعت رسـول اللـه - ﷺ - يقـول: (إن أول النـاس يُقْـضَى يـوم القيامـة عليـه ... الحديـث، وفيـه: ورجـل تَعَلَّـم العِلْـم وعَلَّمَـه وقـرأ القـرآن، فَـأُتِي بـه، فَعَرَّفَـه نِعَمَـه فَعَرَفَهـا، قـال: فـما عَمِلْـتَ فيهـا؟ قـال: تَعلَّمْـتُ العِلْـم وعَلَّمْتُـه، وقَـرَأْتُ فيـك القـرآن، قـال: كَذَبْـتَ، ولكنـك تَعَلَّمْـتَ العِلْـم ليقـال: عالِـم، وقَـرَأْتَ القـرآن ليقـال: هـو قـارئ، فقـد قيـل، ثـم أُمِـر بـه فَسُـحِب عـلى وجهـه، حتـى أُلْقِـيَ في النـار). رواه مسـلم.

قال سفيان الثوري: تَعلَّمْنا العِلْم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله.

وقال عبد الله بن المبارك: طَلَبْنا العِلْم للدنيا، فَدَلَّنا على تَرْك الدنيا.

وقـال مجاهـد، وغـيره: طَلَبْنـا هـذا العِلْـم، ومـا لنـا فيـه كبـير نِيَّـة، ثـم رزقنـا اللـه النِّيَّـة بَعْـدُ.

فالمقصـود: أن الطالـب قـد لا يَسْـتَحْضِر النِّيَّـة، وقـد يَطْلُـب العِلْـم مَحَبَّـة، ثـم يُوَفَّـق للنِّيَّـة والإخـلاص.

عـن البـراء بـن عـازب رضي اللـه عنـه، قـال: قـرأ رجـل الكهـف، وفي الـدار دابـة، فَجَعَلَـتْ تَنْفِـر، فَسَـلَّم، فـإذا ضبابـة أو سـحابة غَشِـيَتْه، فذكـر ذلـك لرسـول اللـه

- صـلى اللـه عليـه وسـلم -، فقـال: «تلـك السـكينة نَزَلَـتْ - أو تَنَزَّلَـتْ - للقـرآن». متفـق عليـه.

وفي الصحيحين: (تلك الملائكة كانت تستمع لك).

فبيوت أصحاب القرآن، كلها سَكِينَة وطُمَأْنِينَة، وتَحْضُرُها الملائكة.

عـن عبـد اللـه بـن أَبِي أَوْفَى رضي اللـه عنـه، قـال: «أَوصَى النبـي - ﷺ - بكتـاب اللـه عـز وجـل». متفـق عليـه.

فالقرآن ميراث النبي - ﷺ - ووصيته، وهذا يدل على مكانة القرآن العظيمة.

عـن سـهل بـن سـعد، أن رسـول اللـه - ﷺ - قـال للرجـل في حديـث المـرأة التـي وَهَبَـتْ نفسـها: (مـاذا معـك مـن القـرآن؟). قـال: معـي سـورة كـذا، وسـورة كـذا، وسـورة كـذا، عَدَّهـا، قـال: (أَتَقْرَؤُهُـنَّ عـن ظَهْـر قَلْبِـك؟). قـال: نعـم. قـال: (اذهـب، فقـد مَلَّكْتُكَهـا بمـا معـك مـن القـرآن). متفـق عليـه.

فالحفظ في الصدور، مُقَدَّم على الحفظ في السطور.

قـال البخـاري: بـاب تعليـم الصبيـان القـرآن. وسـاق بسـنده عـن ابـن عبـاس: «تـوفي رسـول اللـه - ﷺ - وأنـا ابـن عَـشْر سـنين، وقـد قـرأت المُحْكَـم». يعنـي المُفَصَّـل.

وفي حديـث أبي هريـرة: «ويُوضَـع عـلى رأسـه تـاج الوقـار، ويُكْسَى والـداه حُلَّتَيْن لا تَقُـوم لهـما الدنيـا ومـا فيهـا». رواه الطـبراني في الأوسـط، وقـد حُسِّـن.

عـن بُرَيْـدَة الأَسْـلَمِي رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - ﷺ -: »مـن قـرأ القـرآن، وتَعَلَّمَـه، وعَمِـل بـه: أُلْبِـس يـوم القيامـة تاجًـا مـن نـور، ضـوؤه مثـل ضـوء الشـمس، ويُكْسَى والـداه حُلَّتَيْن لا تَقُـوم بهـما الدنيـا، فيقـولان: بمـا كُسِينا هـذا؟ فيقـال: بِأَخْـذ ولدكـما القـرآن». رواه الحاكـم وصَحَّحـه، وروى نحـوه عـن معـاذ الجُهَنِـيّ، وصَحَّـح إسـناده.

عـن ابـن مسـعود رضي اللـه عنـه، مرفوعًـا: «خياركـم مَـن قَرَأ القـرآن وأَقْـرَأَه».
رواه ابـن أبي داود، وللجماعـة نحـوه عـن عثمان.
ولهـذا الحديـث: أَقْـرَأ أبـو عبـد الرحمـن السُّـلَمِي النـاس القـرآن في المسـجد أربعـين سـنة، قـال إسـماعيل بـن أبي خالـد: كان يُعَلِّمنـا القـرآن خمـس آيـات خمـس آيـات.

ثَبَـت عـن عـلي رضي اللـه عنـه، قـال: «كان رسـول اللـه - ﷺ - يُقْرِئنـا القـرآن مـا لم يكـن جُنُبًـا». رواه الخمسـة، وحكـم بصحتـه الترمـذي، وابـن حبـان، وابـن السَّـكَن، وعبـد الحـق، والبغـوي.
فَبَذْل الوقت كله للقرآن قليل في حقه.
رُوِي عـن المُقـرِئ المُجَـوِّد أبي عبـد الرحمـن السُّـلَمِي، أنـه قـال: قـرأت عـلى زيـد بـن ثابـت القـرآن ثـلاث عـشرة مـرة.

عـن أبي هريـرة، قـال: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: «ليـس مِنَّـا مَـن لم يَتَغَـنَّ بالقـرآن». رواه البخـاري، ولـه شـواهد تقويـه؛ منهـا: حديـث سـعد عنـد أبي داود، صححـه أبـو عوانـة، وفيـه: قلـت لابـن أبي مُلَيْكَـة: أرأيـت إذا لم يكـن حَسَـن الصـوت، قـال: يُحَسِّـنه مـا اسـتطاع.
فتحسين الصوت يَتطَلَّب تحقيق مخارج الحروف وأحكام التجويد.
عـن أبي مـوسى، قـال: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: «لـو رَأيتَنـي وأنـا أَسـتَمِع لقراءتـك البارحـة، لقـد أُوتِيـتَ مزمـارًا مـن مزامـير آل داود». رواه البخـاري ومسـلم، واللفـظ لـه.
وأخرجـه أبـو يعـلى وغـيره، «فقـال: أمـا إني لـو عَلِمْـتُ بمكانـك لَحَبَّرْتُه لـك تحبيرًا»، ولابـن سـعد نحـوه مـن حديـث أنـس، قال ابـن حجـر: بإسـناد على شرط مسـلم.
فتحقيق علوم التلاوة من التحبير.

عـن الـبراء بـن عـازب، قـال: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: «زَيِّنُـوا القـرآن بأصواتكـم».
رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه، وجَوَّد إسناده ابن كثير.
وعنـد أحمـد، وابـن ماجـه، والحاكـم وصَحَّحـه، مـن حديـث فَضالـة بـن عُبَيـد: (للـهُ أَشَـدُّ أَذَنًـا إلى الرجـل الحسـن الصـوت بالقـرآن، مِـن صاحـب القَيْنَـة إلى قَينَتِـه).

أخـرج ابـن أبي داود، مـن طريـق بـن أبي مَسْـجَعَة، قـال: «كان عمـر يُقَـدِّم الشـاب الحسـن الصـوت، لحسـن صوتـه، بَـيْن يَـدَيِ القـوم».
وقـد حـكى ابـن حجـر الإجـماع عـلى اسـتحباب سـماع القـرآن مـن ذي الصـوت الحسـن.
وتحسين الصوت يتأتى أكثر، بتطبيق أحكام التلاوة وقواعدها.

عـن أبي هريـرة، أنـه سَـمِع رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -، يقـول: «مـا أَذِن اللـه لـشيء، مـا أَذِن لنبـي حَسَـن الصـوت يَتغَنَّـى بالقـرآن، يَجهَـر بـه». متفـق عليـه.
وقال سفيان: يَتغَنَّى: يَستَغْنِي به.
وقـال الجمهـور: معنـاه أيضًـا تحسـين الصـوت بالقـرآن، وهـو تطريبـه وتحزينـه والتَّخشُّـع بـه، لا الألحـان المُبتَدَعـة.

قـال تعـالى: {إِنَّ ٱلَّذِيـنَ يَتْلُـونَ كِتَـابَ ٱللَّـهِ وَأَقَامُـواْ ٱلصَّـلَاةَ وَأَنفَقُـواْ مِـمَّا رَزَقْنَاهُـمْ سِرًّا وَعَلَانِيَـةً يَرْجُـونَ تِجَـارَةً لَّـن تَبُـورَ * لِيُوَفِّيَهُـمْ أُجُورَهُـمْ وَيَزِيدَهُـم مِّـن فَضْلِـهِ إِنَّـهُ غَفُـورٌ شَـكُورٌ}.

قـال قتـادة: «كان مُطَـرِّف بـن عبـد اللـه يقـول: هـذه آيـة القُـرَّاء». خَرَّجـه في الـدُّرِّ المنثـور.

عن ابن عباس، قال: «جَمَعْت المُحْكَم في عهد النبي - ﷺ -». رواه البخاري.
قـال ابـن كثـير: «فيـه دلالـة عـلى جـواز تعليـم القـرآن في الصِّبـا، وهـو ظاهـر، بـل قـد يكـون مسـتحبًّا أو واجبًـا ... واسـتَحَبَّ عمـر بـن الخطـاب أن يُلَقَّـن خَمْـسَ آيـات خَمْـسَ آيـات، رُوِّينـاه عنـه بسـند جيـد».

قال تعالى: (سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰ * إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ).
وعـن عائشـة رضي اللـه عنهـا، قالـت: لقـد سـمع النبـي - ﷺ - رجـلًا يَقـرَأ في المسـجد، فقـال: «يرحمـه اللـه، لقـد أَذكَـرَني آيـة كـذا وكـذا، مـن سـورة كـذا». متفـق عليـه.
وفي هذا تَسلِيَة لمن يُراجِع القرآن فيَغلِبه نسيان.

رُوِي عـن ابـن عبـاس رضي اللـه عنهـما، قـال: قـال رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم -: «إن الـذي ليـس في جوفـه شيء مـن القـرآن كالبيـت الخـرب». رواه الترمـذي، وقـال: حديـث حسـن صحيـح. وصححـه الحاكـم، فَتَعَقَّبَـه الذهبـي: قابـوس لَـيِّن.
فَاعْمُر جَوفَك بحفظ كتاب الله: كله أو بعضه.

عـن ابـن عمـر رضي اللـه عنهـما، أن رسـول اللـه - صـلى اللـه عليـه وسـلم - قـال: «إنمـا مَثَـل صاحـب القـرآن، كَمَثَـل الإبـل المُعَقَّلَـة، إن عاهـد عليهـا أَمسَـكَها، وإن أَطلَقَهـا، ذَهَبَـتْ». متفـق عليـه.
فالخسارة التي لا تَعدِلها خسارة: أن يَتفَلَّت القرآن، ويذهب لعجز، أو كسل،

أو لانشغال بالدنيا وصوارفها.

قال تعالى: (بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ).
إن صـدرًا جمـع القـرآن، حتـى وعـاه القلـب، وصَدَّقَتْـه الجـوارح؛ لَقَرِيـب مِـن رحمـة اللـه المُنْجِيَـة مـن عذابـه.
قـال أبـو أمامـة الباهـلي رضي اللـه عنـه: «اقـرءوا القـرآن، ولا تَغُرَّنَّكـم هـذه المصاحـف المُعَلَّقَـة، فـإن اللـه لا يُعـذِّب قلبًـا هـو وعـاء للقـرآن».

عـن عُقْبَـة الأنصـاري رضي اللـه عنـه، قـال: قـال رسـول اللـه - ﷺ -: (يَـؤُمُّ القَـوْمَ أَقْرَؤُهُـم لكتـاب اللـه). رواه مسـلم.
فهـذا في حـال الحيـاة، وكذلـك بعـد المـمات؛ فعـن جابـر رضي اللـه عنـه، قـال: (كان النبـي - ﷺ - يَجمَـع بـين الرَّجُلَـيْن مِـن قَتْـلَى أُحُـد في ثـوب واحـد، ثـم يقـول: أيهـم أكـثر أخـذًا للقـرآن؟ فـإذا أُشِـير لـه إلى أحدهـما قَدَّمَـه في اللَّحْـد). رواه البخـاري.

عـن أبي هريـرة، قـال: قـال رسـول اللـه - ﷺ -: «واللـه إني لَأَسْـتَغْفِر اللـه، وأتـوب إليـه في اليـوم، أكـثر مـن سـبعين مَـرَّة». رواه البخـاري.
قـال الضَّحَّـاك: مـا تَعَلَّـم أَحَـد القـرآن، ثـم نَسِـيَه، إلا بذنـب يُحْدِثُـه، ثـم قـرأ هـذه الآيـة: {وَمَـا أَصَابَكُـمْ مِـنْ مُصِيبَـةٍ فَبِـمَا كَسَـبَتْ أَيْدِيكُـمْ}. قـال: وأي مصيبـة أَعْظَـم مِـن نسـيان القـرآن؟! خَرَّجَـه في الـدُّرِّ المَنثُـور.

عـن عائشـة، أنـه ذُكِـر لهـا أن ناسًـا يَقـرَءون القـرآن في الليـل مَـرَّة أو مَرَّتـين، فقالـت: «أولئـك قـرءوا ولم يَقْـرَءوا، كنـت أَقُـوم مـع النبـي - ﷺ - ليلـة التـمام، فـكان يقـرأ سـورة البقـرة وآل عمـران والنسـاء، فـلا يَمُـرُّ بآيـة فيهـا تَخَـوُّف إلا

دعـا اللـه واسـتعاذ، ولا يَمُـرُّ بآيـة فيهـا استبشـار إلا دعـا اللـه ورَغَّـب إليـه».
رواه أحمـد.
فهكذا أهل القرآن مع القرآن.

قال تعالى في حق نبيه: (وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (١٩) وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ).
فينبغـي للمسـلم أن يكـون لسـانه رَطْبًـا بالقـرآن: قائمًـا وقاعـدًا ومضطجعًـا، يَتلُـوه في حَلِّـه وتَرْحَالِـه.

عـن ابـن مسـعود رضي اللـه عنـه، مرفوعًـا: «خياركـم مـن قَـرَأ القـرآن وأَقْـرَأَه».
رواه ابـن أبي داود، وللجماعـة نحـوه عـن عثـمان.
ولهـذا الحديـث: أَقْـرَأ أبـو عبـد الرحمـن السُّـلَمِيُّ النـاس القـرآن في المسـجد أربعـين سـنة، قـال إسـماعيل بـن أبي خالـد: كان يُعَلِّمنـا القـرآن خَمْـس آيـات خَمْـس آيـات.